ISSN: 2253-0347
مجلـة علوم الإنسان والمجتمع
Journal of Human and Society sciences
EISSN: 2602-781X
المجلد: 11 / العدد:02 / السنة: 2022 / ص ص:445- 476

استهلاك الشباب لألبسة الموضة بين البنى المعرفية ودلالة الرمز

-دراسة جندرية-

Youth's Involvement in Wearing in Vogue Fashion: Between Cognitive Structures and symbolic Notion

-A Gender Study-

تاريخ الإرسال: 03 /01/ 2022 تاريخ القبول: 13 / 04 /2022 تاريخ النشر: 10/ 06 /2022

سفيان بشوات [1] الطيب العماري [2]

1جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، *Email :* soufiane.bechouat@univ-biskra.dz

مخبر التغير الاجتماعي و العلاقات العامة في الجزائر

2جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، *Email :* lammari-taieb@univ-biskra.dz

الملخص:

نحاول من خلال هذه الدراسة تناول موضوع استهلاك الموضة وارتباطاتها المباشرة بالبنى المعرفية المتجذرة في ذهنية الشباب من خلال عمليات التغير البنيوي الحاصل داخل الأبنية المجتمعية، كما نحاول من خلال هذه الدراسة تفكيك الدلالة الرمزية لاستهلاك الشباب للموضة ضمن سياقات البنى الممارساتية، حاولنا إدماج مفهوم الجندر كمقاربة جديدة لتحليل وفهم ظاهرة الموضة لدى فئة الشباب، سواء كانت هذه الألبسة مقبولة أو مرفوضة، ما يهمنا الإفرازات الذهنية والتوجهات الأساسية لهذه الفئة.

الكلمات المفتاحية: الموضة؛ الشباب؛ الألبسة؛ الرمز.

المؤلف المرسل: سفيان بشوات، *Email :* soufiane.bechouat@univ-biskra.dz

Abstract:

The present paper undertakes to investigate youth involvement in the consumption of fashion and its direct relationships on youth deep- rooted cognitive structures. This is carried out through structural changes that have occurred in societal structures. It is also within the range of this study to deconstruct the symbolic notion of youth consumption of fashion within behavioral structures. The construct of gender is included as a new approach to be able to analyze and ultimately grasp youth fashion craze. The interest is not focused on the tolerance or rejection of fashion, but on the cognitive consequences as well as youth's basic attitudes.

Keywords: Fashion; Youth; clothes; symbol;

مقدمة:

من بين المواضيع التي تعكس الحياة اليومية لفئة الشباب دلالة الجسد، وما يرتبط باللباس في ظل وعاء الموضة باعتبار أن اللباس يحاكي بنية معرفية، ودلالات رمزية ضمن سياقات ثقافية واجتماعية ترتبط بالمكانة، والتحضر ودرجة الوعي؛ نهيك عن مدى تقبل المجتمع لمختلف تشكيلات الموضة المنوطة بالألبسة، ومن هنا جاءت ورقتنا البحثية الموسومة بـ استهلاك الشباب لألبسة الموضة بين بنية المعنى ودلالة الرمز للكشف عن توجه الشباب نحو استهلاك ألبسة الموضة ضمن سياق الدواعي والأسباب؛ نهيك عن معرفة البنى المعرفية المشكلة لموضة الألبسة ومدى ادراك الفئة الشبابية لها ضمن أطر الوعي الاستهلاكي الشبابي، أضافة إلى معرفة مستوى ادراك الشباب للمضامين الرمزية التي تحاكيها ألبسة الموضة بين المقبول والمرفوض، فضمن هذا

السياق تكمن أهمية ورقتنا البحثية من خلال الموضوع المنبثق عنها من خلال بلورة الاستهلاك الشبابي، وتوجهاته نحو ألبسة الموضة، هذا الأخير ضمن سياق بنية المعنى، ودلالة الرمز يحاكي أبعاد مختلفة لمستويات الوعي الشبابي لها من حيث الاستهلاك الواعي والمقلد؛ نهيك عن ما هو مقبول ومرفوض ضمن سلم المعايير الاجتماعية والأطر الثقافية.

وبالتالي فالملابس متضمنة جوانب اجتماعية وثقافية، تحمل شيفرات تواصل لها معنى، فالملبس بوصفه علامة على أن الفرد ينتمي إلى جماعة معينة، وكما ذكرت سابقا في حالة المجتمع المحلي الذي أقيم فيه، نجد أن هوية أي شخص تتحدد جغرافيا وتاريخيا، وأن الفرد يرتبط بمجتمع محلي معين، الذي بدوره يبني التضاريس الإجمالية للباس، فالملبس يضم ويستبد حسب الإنشاءات الاجتماعية والثقافية.

1- الإشكالية:

يقول عبد الرحمان عطري في مقاله الشباب وتقليعات الموضة" إن تثوير السؤال السوسيوأنثروبولوجي ينطلق بدءا من احتياج كافة الحقول المجتمعية، ويتأسس قبلا على غائية الكشف والاكتشاف لجميع تضاريس المجتمع، لأن ما نحتاجه أنا يبدأ بممارسة الأنثروبولوجيا والسوسيولوجيا فمن غير المعقول أن نستمر في اعتبار كثير من المواضيع على أساس أنها تنخرط فقط في دوائر " الترف الفكري"وبالتالي نزيحها خطأ من عمق انشغالاتنا المركزية.

ومن هذا المنطلق تعد ظاهرة الموضة التي تزايدت حدتها إبان القرن العشرين تعبير عن جملة المتغيرات التي تعكس واقع الممارسات الشبابية ، ومن بين مجالات الموضة تلك المنوطة بالألبسة التي تحاكي مظهريات الشباب فيها، ولا يقتصر الأمر على المظهر فقط بل أصبحت ألبسة الموضة تعكس مستوى الحالة الاجتماعية للشباب، ودرجة الوعي لديهم؛ نهيك عن تموضع الشباب بحسب طبيعة ألبسة الموضة المستهلكة

ضمن وعاء التحضر والعصرنة، إضافة إلى بلورة معايير القبول والرفض لكل من الفئة الشبابية نفسها والمجتمع ككل؛ كما تجدر الإشارة إلى أن ألبسة الموضة ليست مجرد لباس أصم بل يحاكي بنية معرفية ودلالات رمزية تختلف من لباس لآخر، فبنية اللباس مبنية على أطر معرفية تبلور فكرة تصميمه ودلالات رمزية تحاكي محتوى تشكيله يستلزم وجوبا معرفتها قبل التوجه نحو استهلاكها، فضمن هذا السياق سيتم معالجة موضوع استهلاك الشباب لألبسة الموضة بين بنية المعنى ودلالة الرمز من خلال محاولة الإجابة عن التساؤلات الآتية:

- فيما تتمثل البنى المعرفية والجندرية المشكلة لألبسة الموضة وهل الشباب على دراية بها؟
- هل ألبسة الموضة تحاكي دلالات رمزية مجندرة ؟

2- أهداف الدراسة:

يرى **كارل ماركس karl marx** أن الإنسان واع وغرضي. فهو يعتمد في قيامه بالسلوك على القصدية لا على العشوائية. فيكون كل فعل يقوم به مهما كان بسيطًا فإنه يدرك أبعاده والهدف المقصود منه. وكنيتجة لذلك فإنّ لكل بحث أو دراسة أهداف يحاول الباحث الوصول إليها أو التطرق إلى أهم تأثيراتها على الواقع الاجتماعي.

إن هدف هذه الدراسة هو البحث عن البنى المعرفية والدلالة الرمزية للباس لدى فئة الشباب م منظور جندري، الذي اعتبر كمدخل أساسي لفهم التمظهرات اللباسية لدى هذه الفئة، كما نريد لبحث في مجال الذهنيات اللباسية التي تشكلت بفعل التغيرات البنيوية داخل المجتمعات العربية وخاصة المجتمع المحلي الذي نعيش فيه، وهذا بقصد فهم اختيارات الشباب لبعض الألبسة.

3- أهمية الدراسة:

يحتل اللباس جزءا هاما من حياة الشباب، وجانبا أساسيا من الجوانب الاجتماعية حيث يجد الشباب نفسهم أمام تقلبات وتغيرات لباسية من وقت لآخر مما يدفعهم إلى الاستفسار عن كل جديد في عالم اللباس والموضة، وكل ذلك يدخل في عدة تعقيدات يصعب في الكثير من الأحيان الوقوف على هذا التغير المستمر لأنظمة اللباس.

ومن هنا تكمن أهمية دراسة موضوع الموضة الشبابية وتشكل البنى المعرفية لديهم، بحكم التغير الذي طرأ على اللباس، وهذا ما نوه إليه الكثير من الباحثين أن موضوع اللباس لدى الفئة الشبابية يحتاج إلى تتبع وتحليل متخصص لفهمها وتفكيكها، ولقد حاولنا أن نستعين بالمدخل الجندري، والذي يعتبر من أهم المداخل التي تحلل الظاهرة.

4- مفاهيم الدراسة:

من الضروري على الباحث الأنثروبولوجي أن يبحث عن مقاصد المبحوثين وما يريدون إيصاله من أشكال تعبيرية ومفاهيم ثابتة في مخيلاتهم. فتراهم شديدي الحرص على ممارسة هذه المفاهيم في حياتهم اليومية.

4-1- اللباس:

يعرف اللباس لجماعة معينة كمجموعة قطع وقواعد تركيبية، ويعتبر تغير الأنظمة اللباسية كإحدى النتائج الأكثر وضوحا للمثاقفة. خلال الفترة الانتقالية التي سبقت الأعراض الكامل عن اللباس التقليدي، بسبب تخفيف القطع وإدخال قطع جديدة بظهور قواعد تركيبية جديدة.

4-2- الموضة:

يعد منتج ما، أو نشاط ما موضة أو مسايرا للموضة خلال الفترة التي يعد فيها مقبولا من قطاع واسع من المجتمع، غير أن هذا المنتج أو النشاط لا يلبث أن يصبح موضة قديمة بعد مرور فترة من الزمن، وذلك حين تكف غالبية الناس عن تقبله.

4-3الجندر:

عبارة عن الذكورة masculinity والأنوثة femininity المبنيين اجتماعيا والمشكلين ثقافيا" حيث تكتسب كل هذه المفاهيم من خلال التنشئة الاجتماعية التي تعمل على تشكيل الفرد، فمن خلالها يتعلم الفرد كيف يصبح ذكرا أو أنثى.

5- المعالجة المنهجية ومجريات البحث.

5-1- لماذا منطقة بئر العاتر دون غيرها؟

تعمدنا في هذا البحث اختيار بئر العاتر فضاء لبحثنا الميداني. وذلك لعدّة أسباب **أوّلها** لأننا من أبناء المنطقة ونرى أنها مازالت مجهولة اثنوغرافيا. **وثانيهما** لأن مدينة بئر العاتر تجمع بين البداوة والحضر وبين الأصالة والحداثة مما يجعلها مكانا مثاليا لدراسة هذه الظاهرة لما تحتويه من تنوع ثقافي، **وثالثها**: لدينا معرفة كافية حول أطر الدراسة ومجالها وباعتبارها من المواضيع المسكوت عنها، فإن في خضم معرفتنا بمجال الدراسة تم الكشف عن المشاركين فيه وجمع المعطيات بما يتوافق وأهداف الدراسة. **وآخرها:** وجود كل التصنيفات والألبسة التي تدخل ضمن الموضة وخاصة في الفضاءات التي نعرفها.

5-1-1- أصل التسمية:

يرجع اسم بئر العاتر الي فترة الفتح الإسلامي لشمال إفريقيا إذ تقول الأسطورة أنه عند شعور الكاهنة البربرية بالهزيمة أمرت جنودها بسكب كمية هائلة من العطور في بئر

(تسمى الآن باسمها) في محاولة يائسة منها لهزم الفاتحين المسلمين وحرمانهم من الماء وعند وصول الفاتحين إلى البئر بعد فرار الكاهنة وقتلها فيمابعد بعد رفضها الاستسلام وجدوا المياه معطرة فسموا البئر (بئر العاطر)ومع مرور الأزمنة حرفت بئر العاطر إلى بئر العاتر، وهناك رواية أخرى تقول بأنه في هذه المنطقة كان هناك بئر قصير أي باللهجة العامية اعتر او عاتر فسميت بئر العاتر - وهي الرواية الاكثر رواجا أسماء أخرى مندثرة=1-بئرالعاطر، 2 -بئر الكاهنة، 3- جبل عنق. تبعد بمسافة 30 كيلومترا من الحدود التونسية، وتقع في الطرف الشمالي من جبل العنق ، ترتفع عن سطح البحرب 980 م. مناخها شبه صحراوي، وتحتوي على أراضي رعوية واسعة . تحتوي على منجم لاستخراج مادة الفوسفات والذي يعد من أكبر المناجم على مستوى العالم.

2-5- عينة البحث: العمق عوض التعميم:

أمام استحالة إجراء المسح الشامل على مجتمع الدراسة واستجواب جميع الفاعلين فيه أصبحت البحوث المعاصرة تعتمد على طريقة العينة، كممارسة منهجية مهمة تسهل على الباحث إجراء بحثه، شرط أن تكون بطرق خاضعة للمبدأ العلمي حيث تضمن تمثيلية المجتمع عبر إتاحة الفرصة للاستجواب بطرق متساوية لكل فرد من المجتمع. لكن مسألة التمثيلية لاقت مساءلة في البحوث الكيفية عكس البحوث الكمية التي تصبح للتمثيلية شرعية منهجية." وهذا راجع لأسباب عدة. أولا: لأنها لا تتسق مع مبادئ البحث الكيفي. ثانيا لأن حجم العينة وطبيعة إجراءات اختيار العينة في البحث الكيفي لا يتضمنان أي دليل على تمثيلها (سارانتاكوس، 2017).

وسيأخذ هذا البحث مجرى آخر بالنسبة لتمثيلية المجتمع المدروس. وسنعتمد على مفردات قليلة ومقصودة لكنها غزيرة المعطيات. وهو ما يمكن أن نسميه بالارتكاز المعمق في استنطاق المعطيات من المشاركين. ولا تصحّ هذه العملية إلّا عن طريق التعمق في دراسة حالات معينة ومحدودة تجعلنا نفهم بناءاتها المختلفة من خلال

استكشـاف التـدفق الطبيعي للأحـداث دون محاولـة منـا الـتحكم في العوامـل الخارجيـة الغريبة عـن الظاهرة محل البحث. وهذا ما يشـرحه **ريمـون بودون Raymond Boudon** في قولـه" توجـد أوضـاع خاصـة تبرز فيهـا ضـرورة اعتمـاد الطرق الكيفيـة لأسـباب تتعلـق بالميزانيـة والسـرعة في إنجـاز البحـث، ومن الأمثلـة، البحـث الـذي قامـت بـه **كومـاروفسـكي MirraKomarovski** حـول **اللبـاس رمزيتـه ودلالتـه** التي لا تختلـف عـن خصوصـية عينـة بحثنـا، حيـث شـملت المعاينـة عـددا ضـئيلا مـن الحـالات. وبـالرغم مـن ذلـك اسـتطاعت الباحثة أن تصل إلى تفسيرات مقنعة." (سارانتاكوس، 2017)

وتؤكـد **شـارلين هـيس بيبر** في نفـس السـياق بقولهـا" يضـع منطـق البحـث الكيفي الفهـم العميـق في المحـل الأول مـن اهتمامـه، حيـث يعتمـد في عملـه عـادة على اسـتخدام العينات الصغيرة. والهدف من ذلك أن يدقق النظر في عملية ما أو يقف على المعاني التي يضـفيها الأفـراد على وضـعهم الاجتمـاعي المعـين. فالباحـث هنـا لا يسـعى بالضـرورة إلى صـياغة التعميمـات" (بيبر و باتريشـيا، 2011) فـنحن لا نقصـد مـن دراسـتنا –اسـتهلاك الموضـة - أن نصـوغ أحكاما عامة شـاملة عـن ظاهرة الموضـة، **بل لـنفهم ظاهرة الموضـة بين البنى المعرفية والبنية المعنى ، وهل يعتبر هشاشة علائقية جذورها بنيوية؟**

5-2-1- بناء العينة:

ما دمنا نروم من وراء موضوعنا البحث في ظاهرة الموضى في المجتمع العاتري فقـد اعتمـدنا على العينـة **القصـدية** التي تعتبر الأنسـب لبحثنـا " فكثيـر مـن البـاحثين الكيفيـين والـذين يريـدون اقتحـام المواضـيع المسـكوت عنهـا يقومـون باختيـار العينـات العمدية أو الحكمية. ويتوقـف ذلك على أسـاس المشـكلة المدروسـة التي يتناولها البحـث." (Pattonpatton، 2002) والسبب في اختيارنا لهذه العينة صعوبة الوصول إلى المشاركين بطريقة مباشرة والرفض المباشر في بداية البحث من طرف بعض الفتيات والذكور على التصـوير واجـراء المقـابلات، إضـافة لهـذا لجأنـا إلى إمكانيـة ثانيـة والمتمثلـة في اختيارنـا

لفضاء (قرابي) يكون معروفا بالنسبة إلينا. ويحمل المظاهر الأنثروبولوجية والاجتماعية للموضة .

وتتوزع عينة بحثنا بصفة عامة على فئتين: تتكون الفئة الأولى من النساء سواء المتزوجات أو العازبات. بينما تتكون الفئة الثانية من الرجال المتزوجين والعزاب. وفئة تضم الفئتين **30** فردا تنقسم كالتالي: **19** مرأة بما فيهن المتزوجات والعازبات و**11** رجلا بما فيهم المتزوجين والعزاب **فلماذا اخترنا هذا العدد من المشاركين؟ .**

إن اختيارنا لعدد العينة المذكور أعلاه له مبررات منهجية ألزمتنا بالوقوف عند هذا الحد. وعموما هناك سبب منهجي يتمثّل في **التشبع النظري أو (الإغراق).** فعند تجاوزنا للعدد **30** أصبحت المعطيات والمشاهد تتكرر وتصب في نفس السياق، وهو ما جعلنا نقف عند هذا الحد من المشاركين لأن المعطيات أصبحت تعيد إنتاج نفسها في قوالب خطابية وتفاعلية متشابهة الاختلاف الوحيد هو المشارك فقط. وعند رؤيتنا لمماثلة الخصائص أصبحنا واثقين بأن هناك فئة مشبعة. وسلمنا بأن المفردات المستقاة مشبعة بالبيانات. وهو ما يتيح لنا فرصة الانتقال إلى المرحلة المنهجية الثانية القائمة على تحليل المعطيات.

لقد ساعدنا بعض المشاركين في الوصول إلى بعض الحالات التي يصعب الوصول إليها مثل **(زوجة ولد عمي، زوجة إبن خالتي، زوج إبنة عمتي)**. رغم أننا لم نصل معهم إلى درجة التشبع الكافي. وهو ما يشرّع لدور هؤلاء المخبرين ويحتلّ مكانة أساسية بالنسبة إلى الباحث لبلوغ مرحلة التشبع على الرغم من صعوبة الحديث عن وجود تشبع مثالي وكاف يصله الباحث.

6- الترسانة المنهجية للبحث:

"لك طريقك، ولي طريقي، أما الطريق الصحيح الطريق الوحيد، فهو غير موجود" فريديريك نيتشه

لعل أهم الخطوات في البحث هي الكيفية التي سوف يقوم من خلالها الباحث بجمع البيانات أو الملاحظات. فتم التعامل مع ظاهرة الموضة باستخدام المنهج الكيفي. وتبرز أهمية المنهج الكيفي في كونه يتيح فهما معمقا لتجارب الرجال والنساء مع ظاهرة الموضة.

قام هذا المنهج بالأساس على استخدام أداتين رئيسيتين بمعية الأدوات المساعدة. لكن ما يعنينا بالأساس كيف تجسدت هذه الأدوات في الميدان. فبالنسبة إلى الأدوات الرئيسية فتمثلت في الملاحظة بالمشاركة. وهذه الأداة تستدعي وجودنا بالفضاءات المعروفة التي تمارس فيها سياقات الموضة، الأمر الذي سهل عملية الألفة مع هذه الأماكن. والثانية تجلت في المسائلة (المقابلات المفتوحة).

6-1- الأدوات الأساسية للبحث:

انسجاما مع الرابط البحثي الذي يقوم عليه بحثنا ومراعاة لطبيعة موضوعنا وخصوصية عينتنا وجدنا أنفسنا أمام حتمية منهجية. فرضت علينا هذه الخصوصية اختيار أدوات بحثية وتقنيات تحليلية دون غيرها لجمع وتحليل المعطيات. " فالمشكلة التي تدرسها هي التي تملي عليك طريقة البحث والتي سوف تستخدمها في دراستك. فأنت لا تستعمل المطرقة حينما يتطلب الأمر استعمال المنشار".(Karp, 1997)

6-1-1- المقابلة المعمقة:

إن التفاعل في معناه حوار بين شخصين أو أكثر وهو عبارة عن إرسال واستقبال وتبادل لفظي ورمزي للكلام والمعنى بشكل متساو. فعبر هذا النوع من التفاعل تمكّنّا من بناء جسور مع المشاركين واستطعنا تأسيس علاقة حوارية. وقد تم بناءه من خلال طقس المقابلة المعمقة التي تعتبر وسيلة أساسية لتحقيق هذا الهدف. " في هذه الحالة أصبحت المقابلة أمرا حاسما يجعل الناس يدركون المراد من حياتهم من جهة،

ومن جهة ثانية أصبحت (بمعناها العريض) اليوم أحد أكثر الأشكال الاجتماعية لجمع المعلومات." (جوبو، 2014)

"إن ما يؤسس المقابلة هو إنتاج الكلام الاجتماعي لا يكون مجرد وصف وإعادة إنتاج لما هو موجود لكنه اتصال حول ما يجب أن يكون للأشياء ووسيلة تبادل بين الأشخاص كما تتأسس المقابلة على خصوصية وهي إنتاج خطاب عين المكان. وهذا ما يجعلها وضعية اجتماعية" (سبعون:، 2012) "تشارك في الكثير من مميزاتها وملامحها اعتراف الكاثوليك والمقابلة التحليلية النفسية." (جوبو، 2014)

تعتبر المقابلة المعمقة من الأدوات التي تثبت جدارتها في الميدان. فتضطلع بمهمة فك عذرية الميدان. وتعمل على إزالة الضبابية وإمداد الباحث بالحقائق التي يبحث عنها. هذه الحقائق التي تظلّ صندوقا أسود محكم الغلق. إذ لا يمكن الوصول إليها دون الولوج والغوص في ثنايا الميدان والتفاعل بين المشاركين وخلق فضاء حواري لفهم الظاهرة. وهو ما نراه ذاتا فاعلة تنتج المعنى الذي نسعى إلى بناءه. وبفضل المقابلة المعمقة تتاح لنا الفرصة للتقرب أكثر من المشاركين رغم معرفتنا الجيدة لهم إلا أنه هناك جوانب ما زالت غامضة يحملها المشاركون حول موضوع الموضة. ومن اجل ذلك لجأنا إلى استخدام المقابلة للاقتراب منهم بحكم الجانب الأخلاقي هذا من جهة. ومن جهة أخرى تجميع بيانات تساعدنا في فك شفرة الموضوع.

إن اللقاء الأوّلي المشاركين كان محتشما في الكثير من الأحيان. وكان فاترا إلى حدّ أنّه لم يشبع شهية المحاورِ وانهاء الأسئلة المسطرة (ذهنيا) مسبقا. فعلى امتداد المقابلة يعم الصمت إضافة إلى نفاذ صبر المشاركين منذ الوهلة الأولى. فمثّل هذا عطّل مجريات الحديث. ولكن عدم التجاوب لم ينفّرنا بل زاد من عزيمتنا. ومثّل تواجدنا الدائم على الميدان والدخول العفوي في الحوار مثيرا سهّل على الباحث والمشاركين كسر حاجز

الصمت. فانساب الكلام وأصبح ينتج نفسه في قوالب تفاعلية. وعبّر المشاركون عن مكنوناتهم في ما يتعلق بظاهرة استهلاك الموضة.

وتماشيا مع أهداف البحث فقد اخترنا المقابلة غير الموجهة أو المفتوحة ".وهي عبارة عن حوارات مفتوحة يتمكن فيها المشاركين من التكلم في أي جزئية تتعلق بموضوع البحث دون قيد ودون أن يحاول الباحث قطع الحديث إلا إذا شعر بأن المتدخّل قد ابتعد كثيرًا عن موضوع البحث" (وصفي، 1989). تعود مبررات هذا الاختيار إلى النقاط التالية:

- ✓ **أولا:** في الوضع الاجتماعي والتعليمي للمشاركين فمعظم المشاركين لم يلتحقوا بالمدرسة. وفي هذه الحالة لا يمكن ربط المشاركين بمجموعة من الأسئلة المهيكلة والمبنية سلفا. وهو ما يجيز للمشارك حريّة التعبير وعرض تمثلاتهم اتجاه الموضة .
- ✓ **ثانيا:** البحث عن البنى المعرفية التي توجه الشباب لاقتناء ألبسة الموضة .
- ✓ **ثالثا:** أن مثل هذه المقابلات يتحصل فيها الباحث على عفوية المتحدث الكاملة وحصوله على عناصر معرفية غزيرة سيحلل مضمونها لاحقًا. لكن لا ننفي أن هذه العناصر المعرفية أخذت منا وقت كبيرا في تحليلها وتفكيك شخوصها المشفرة.

من الطبيعي أن يسجل الباحث المقابلات "لأن وجود آلات التسجيل توفر كثيرا من عناء التسجيل اليدوي ويمكن للباحث أن يستفيد من كل الجزئيات وخاصة إذا كانت عبارات المشاركين وألفاظهم مطلوبة في البحث." (إبراهيم و حمدي، 1988) ولكن كانت مقابلتنا طقس يومي لا تحديد للزمان ولا للمكان.كنا ل انوثق مقابلتنا إلا في حالات قليلة وذلك باستعمال التسجيل بالهاتف النقال.

"إنّ أغلب المقابلات التي يجريها الباحث الأنثروبولوجي عادة هي مقابلات فردية. ففي الكثير من المواضيع قد لا يرغب المتكلم في الإفصاح عن آرائه وأخباره أمام الآخرين. بل يفضل الإدلاء بها أمام الباحث عوضًا عن أن يطّلع عليها المقرّبون فيصبح

عرضة للمراقبة والنقد" (جرجرس، 2019)، ومّا لا يعتريه شكّ أن تطبيقنا للمقابلة الجماعية أو البؤرية مفيد جدا لبحثنا. فقد ساعدتنا على الحصول على أنواع معينة من المعلومات مثل (الأسباب الاجتماعية والأنثروبولوجية لاختيار الملابس العصرية) وبشكل أكثر دقة. إضافة إلى ذلك فقد فتحت لنا المقابلة الجماعية المجال لمعرفة البنى الذهنية لكلا الجنسين هذا من جهة ومن جهة أخرى تعمدنا استخدامها لمعرفة مدى صدق المعطيات المتحصل عليها من المشاركين في المقابلات الفردية. كانت المقابلات الجماعية مهيكلة ومخطط لها من طرف الباحث.فكنا نعمد إلى التصريح بموضوع بحثنا والأهداف التي ننشد تحقيقها.

كانت المقابلة حوارا تفاعليا مع المشاركين.فبالنسبة إلى النساء كانت في حلاقاتهن الحوارية التي تنظم في المساء في (الحوش). أما بالنسبة إلى الرجال كانت تنظم في الفضاءات المفتوحة مثل المقاهي.وكانت هذه المقابلات شحيحة ولا ترقى منهجيا إلى مستوى المقابلات البؤرية "لأن المقابلة البؤرية ليست مجرد حوار جاء بالمصادفة أو حالة من العصف الذهني تحدث بين أفراد، بل هي سعي بحثي جيد التخطيط يتطلب نفس القدر من الاهتمام والانتباه الذي يتطلبه غيره من أنماط البحث العلمي"(ستيورات و شامداساني، 2012).

6-1-2- الباحث في الميدان: مشاركا وملاحظا

تعتبر الملاحظة بالمشاركة من أهم الأدوات الأساسية التي اعتمدها الباحث. فهي تعد من أهم العمليات التي ساعدتنا على النفاذ إلى أعماق الموضوع بشكل دقيق. إذ أنّ الأمر لا يتعلق بمجرّد ملاحظة الظاهرة في ثنايا الحقل، بل يتعدّى دور الملاحظ إلى المشاركة في المشاهد والانخراط الكلي مع تفاعلات المشاركين وما يأتونه من أفعال زمن سردهم لحالاتهم. ولا ننسى أننا في فضاء معروف حيث تكون الملاحظة التشاركية سهلة التطبيق. ولكن وجب علينا الابتعاد عن السلطة الذاتية. وحتى نكون دقيقين في ما

نعرضه علينا أن نتحلّى بالموضوعية المطلقة زمن تدوين الملاحظات. إضافة إلى الحيادية. لأنّنا ننقل احاداثا ربما تؤثّر فينا. فنحن نكتب من داخل المسألة متوسّلين اللغة حتى تكون الناقلة السليمة لما يرويه هؤلاء المشاركين. وربّما نذهب إلى ابعد من ذلك لنقرّ بأننا ننقل عن ذواتنا بصوت الاخر. وهو ما من شأنه ان يوقعنا في السلطة الذاتية التي نوه إليها **إيف وينكين** بقوله "أعرف جيدا أنني أكتب عن أقراني، وكيفما كان الحال سأفعل هذا وكأني مختلف عنهم خلال بحثي" (وينكين، 2018).

وما يمكن ان نستخلصه أن الملاحظة بالمشاركة هي طقس منهجي دقيق تعمل على وضع البحث في إطار موضوعي. لكن لا ننفي أننا وقعنا في الكثير من الأحيان في شرك الذاتية وخاصة في تلك المشاهد التي يظهر فيها المشارك مظهريات الموضة.

إن اختيارنا لهذه الأداة نابع من رغبتنا في المعاينة المباشرة لواقع المشاركين بهدف فهم الاستراتيجيات التي تجعل المشاركين يلجئون للموضة، وكيفية تمظهرها في طقس يومي وتفاعلي. فبدل أن أكون ملاحظا كاملا، أو مشاركا كملاحظ، اعتمدنا نمط الملاحظ كمشارك " التي تعرض أنشطة الملاحظ برمتها علانية كما هي. وقد تكون مدعمة علانية إلى حد ما من قبل الأشخاص الملتزمين بالحالة المدروسة" (وينكين، 2018). أتاحت لنا هذه الإستراتيجية فرصة اكتساب ثقة المشاركين وحل بعض الإشكالات التي يواجهونها.ويذهب بعض العلماء أمثال **كونت ودوركايم** إلى أنّ هذه العملية تعتبر حاجزا يعرقل البحث. لكن بالنسبة إلينا فإننا نرى أن التعامل مع المشاركين يجب أن يكون إنسانيا وأخلاقيا بالأساس إلى درجة أن نتجاوز سبب الحلول بين تلك المجموعة البشرية.

ومن باب التذكير أشير إلى أن حضوري بين المشاركين لم يقتصر على مجرّد الملاحظ بل كنت مشاركا أيضا. وكنت من المتحدثين. ويرى البعض أن هذه العملية قد تفسد عملية تحصيل المعطيات من المشاركين. وكنت أسعى في كل المقابلات إلى مشاركة

المتدخّلين في انتاج المعطيات لأنّي كنت أعتقد في ضرورة القيام بذلك حتّى وإن كانت البيانات المقدّمة لا تخدم الموضوع مباشرة (...). وفي المقابل لم أشاركهم وجهات نظرهم بل كنت مستمعا جيدا ومحللا بعد ذلك.

"ونظرا لأن الباحث لا يمكن أن يكون في كل مكان وفي كل وقت – لأن المشاركين يقيمون في فضاءات مختلفة وبعيدة نوعا ما عن بعضها البعض- فإن ملاحظته لما حوله سوف تكون انتقائية إلى حد كبير. هوما يفرض عليه مسؤولية هامة تكمن في حسن انتقاء الملاحَظ " (إبراهيم و حمدي، 1988). وفي كثير من الأحيان يشعر الباحث بالقلق حول ما إذا كانت الملاحظة مناسبة أو لا " **لا أدري إذا كنت ملاحظا جيدا أو لا (...) أشعر بالندم عندما أقوم بمقابلة مع المشاركين ويخبرني بمشهد عنف مرتكب ضد المرأة من طرف الرجل. لماذا لم ألاحظ هذا المشهد ؟ كيف تكون الملاحظة جيدة؟ هل أنا في وضع يسمح بتطبيق المقابلة لا الملاحظة بالمشاركة؟**" كلها أسئلة دارت في ذهني لكن طمأنني حديث **إيف وينكين** وأنا أقرأ كتابه الموسوم ب: **أنثروبولوجيا التواصل من النظرية إلى ميدان البحث** في قوله " كل المشاهد تعاد إنتاجها في صور قد تتشابه أو تختلف لكنها تصب في بحر واحد، وعلى الباحث أن يكون مستعد للتحليل" (وينكين، 2018)، بالفعل وجدنا أن المشاهد تتكرر هو روتين يومي. والمتغيّر هو الوقت والزمان والأشخاص .

7: أنثروبولوجيا الملابس:

إجتذبت أبحاث الملابس اهتمامًا متجددًا في الأنثروبولوجيا على مدى العقدين الماضيين، حيث شهدت ازدهارًا ظل ضمن الحدود من خلال السيطرة على النماذج النظرية. تأثرت الأعمال بالتحولات التفسيرية العامة في الأنثروبولوجيا، والتي تُعلم الهيئات المتباينة لأبحاث الملابس التي كانت بخلاف ذلك قليلة الوحدة. الاتجاه الأكثر وضوحًا هو الانشغال بالوكالة والممارسة والأداء الذي يعتبر الجسد الذي يرتدي الملابس

موضوعًا وموضوعًا في ممارسة الملابس. يتضح التحول إلى الاستهلاك كموقع وعملية صنع المعنى أيضًا في أبحاث الملابس. تم تحليل اللباس، بشكل عام، على أنه يمثل شيئًا آخر وليس شيئًا في حد ذاته، على الرغم من أن الجهود الجديدة لإعادة إشراك المادية تشير إلى أن هذا النهج يتغير. تم إنجاز القليل من العمل في قضايا إنتاج الملابس، على الرغم من أن بعض العلماء يدرسون أهمية اللباس في سياق الدائرة الاقتصادية بأكملها والعلاقات غير المتكافئة بين الممثلين، وبحكم أن الأنثروبولوجيا خرجت من نطاق الدراسات القديمة والتي تهتم بالمجتمعات البدائية وأصبحت تأخذ مفهوم المضلة تهتم بكل المواضيع اليومية، وعلى رأسها الملابس التي تعد من المواضيع الأنثروبولوجية بامتياز، لكن لو نظرنا بعين متخصصة لا وجدنا أن الاهتمام كان نسبيا، وأن وصف الملابس في التقارير الإثنوغرافية أمر نادر." والمواد الإثنوغرافية الموجودة أيما كانت تظل متناثرة في السجلات والدراسات ربما للأهمية الثانوية نسبيا التي تعزى للملابس" مقارنة بغيرها من جوانب المجتمع والثقافة، مثل القرابة، والقانون والزواج والدين...الخ. ظلت التقارير الإثنوغرافية عن الملابس والروايات التي تحكي عنها مفتتة، في انتظار أدوات مفاهمية ذات كفاءة لتعطيها شيئا من التماسك. وبعبارة أخرى كان البحث الأنثروبولوجي يحتاج إلى عدة مفاهمية ومنهجية لدراسة الملابس.

لكن لا ننكر أنه جرت العديد من المحاولات الاثنوغرافية في تاريخ الأنثروبولوجيا، وأصبحت كمداخل لفهم الجوانب الثقافية والاجتماعية للملبس. قدم **كروبير kroeber** مدخلا فريدا لدراسة الملابس،" إذ درس الملبس، لا سيما أزياء النساء، في دراسة رائدة وكلاسيكية استخدمت مدخلا منهجيا كميا، ثم أدخل توسيع على تلك الدراسة بعد ذلك".(Kroeber & L) لكن لم يُعدُ أحد إجراء مثل هذا النوع من الدراسات قط، لأن خلق منهجا كميا لقياس خواص الملابس والبحث في التقلبات التاريخية وعلاقتها

بالتقلبات التي نشهدها في عصرنا الحالي من موضة وأزياء نابعة من ثقافات مشكلة دينيا.

"يوجد نوع آخر من الكتابات التي منيت بالتجاهل، والتي جمعها **كراولي** ونشرها في عام **1941**، كرست تلك الكتابات قسما هائلا منها للملابس، إذ قدمت توثيقا تفصيليا للأزياء العابرة للثقافات مع تقديم شرح للأزياء كلما كان ذلك متاحا" (الجندي، 2016)، وعلى الرغم من الأفكار المتناثرة في دراسة **كراولي** حول الملابس إلا أنها تعتبر مدخلا أساسيا لفهم الملابس في العصر الحالي، تأثر **كراولي** بفلسفة داروين للنشوء والارتقاء، حيث قام بتتبع تطور الملابس في مختلف المجتمعات.

وقد استكشاف **كراولي** للتقارير الاثنوغرافية عبر الثقافات إلى تحديد وظائف اللباس،" أسماها افتراضات نظرية، تظم الزينة، والحماية، والإخفاء. وقد لاحظ أنه يوجد في أكثر الملابس بدائية تبادل مثير للفضول بين الإخفاء، والحماية، والزينة، والإعلان، يفترض أنه يعني بذلك الجاذبية" (الجندي، 2016). يبدو أن **كراولي** يقبل صراحة فرضية التزين التي تنص على أن الرجل الطبيعي مستعد لتحمل أي متاعب، وفرضية الحماية التي ناقشها كراولي تشير على أن اختراع الملابس حدث لحماية الجسد من الطقس الخشن والعوامل البيئية، وهي تربط ما بين الملابس وفكرة التآلف مع البيئة، مستخدمة في ذلك فكرة اللياقة والتوازن، أما بالنسبة لفرضية الإخفاء والتي تفرض وجود مرحلة من الحياة البربرية تحولت فيها الزوجات إلى ملكية خاصة للرجل، ويستشهد بدراسة **إيليس** الذي كتب" يبدو أن الرداء حماية أخلاقية ومادية ضد أي هجمات على ممتلكاته".(ELLIS.H.H, 1967) تنص هذه الفرضية على أن غيرة الرجال هي التي أرست أول حجر أساس لارتداء النساء المتزوجات للملابس.

8- استهلاك الموضة بين البنى الاجتماعية والبنى المعرفية للمشاركين:

احتلّت دراسات الموضة أهميّة متزايدة في العقدين المنصرمين لكونها-أي الموضة- ظاهرة اجتماعية تامة أو كاملة، أي ظاهرة فنّية واقتصاديّة وسياسيّة وسوسيولوجيّة...في آن، تتعلّق بمسائل التعبير عن الهويّة المجتمعيّة. وقد اكتست الدراسات المتزايدة حول الموضة أهميّتها بالتوازي مع سيادة مفهوم "صناعة الابتكار والإبداع"، كصناعة ذات شأن في اقتصادات العالم. ويعود أساس الموضة إلى عصر النهضة الأوروبية مع نشأة البرجوازية التي عبّرت، من خلال الملابس الفاخرة وتوابعها، عن نفوذها السياسي والاجتماعي والاقتصادي الجديد الذي كان يدفع الطبقة الأرستقراطية إلى سلوك مسالك مشابهة. ما يعني أن الموضة في بداياتها ارتبطت بالنخب الأرستقراطية والبرجوازية. وكان الاقتصادي والفيلسوف الأميركي ثورستاين فبلن Thorstein Veblen، في كتابه Théorie de la classe de loisir " نظرية الطبقة المترفة(1899) "، كان قد ميّز بين الطبقة العاملة التي تستخدم الزمن استخداماً منتجاً والطبقة المترفة التي تستخدم الزمن نفسه استخداماً غير منتج للثروة، معتبراً بالتالي أن الطبقة المترفة تتميّز بالاستهلاك التفاخري المبدّد للموارد، والرامي إلى التميّز الاجتماعي ليس إلا. أما عالم الاجتماع الألماني جورج سيمل Georg Simmel فقد أضاف إلى نظرية فيبلن حول أصل الموضة وحاجة الطبقات العليا إلى التميّز، مسألة تعبير الموضة عن ضغوط محورية في المجتمع. فالملابس، وكلّ ما يتّخذه الناس وسيلة للتعبير عبر أسلوب معيّن، يخضع لنموذج الموضة، ويولّد بالتالي حاجةً إلى التقليد لدى الطبقات الاجتماعية الأخرى، وفقاً لحركة عمودية يتغلغل من خلالها الأسلوب المتبع في الطبقات العليا إلى الطبقات الدنيا. فتقوم الطبقات الدنيا بتقليد هذا الأسلوب، لتعود الطبقات العليا من ثمة

بإعادة تبنّي أسلوب جديد ليتمّ تقليده مجدّداً، وذلك في سياق دائري (الجندي، 2016).

إنطلاقا من هذا التأسيس نجد أن الموضة ظاهرة تتميز بأبعاد اجتماعية وأنثروبولوجية تجذرت في الوسط الذي يعيش فيه المشاركين، وبالتالي يمكن القول تخريجات سوسيوأنثروبولوجية تظل مشروعا إلى حد كبير خصوصا في إتصالها بالشباب الذي يعتبر عنصر فعال في نشر تضاريس الألبسة بكل تمفصلاتها، كما أنها مرتبطة ارتباطا كبيرا بالهيراركية المجتمعية. إذن الموضة مرتبطة بالمعيش اليومي الذي يعيشه المشاركون وتستلزم منا تفكيكا للبحث عن المعاني الاجتماعية والأنثروبولوجية داخل وخارج البنيات المجتمعية بكل انطراحاته، وهذا ما تقره أحد المشاركات بقولها " الموضة حياة لازم نعيشوها"، وبالتالي فاليومي يساعدنا على غربلة المفاهيم المشخصنة بشكل كبير.

وبحكم تمضهراتها يستمر المشاركون في احتضان مالذ وطاب من من ألوان الموضة وخاصة المتعلقة بالجسد، فالمشارك ب ن 24 سنة يبين ذلك في قوله" **لازم التنوع في الموضة ولازم الإنسان يتماشى مع التغيرات العصرية(...) واحد ما يبدلش يضحكوا عليه ويقلوا عليه جبري"، فمن خلال قول المشارك نجد أن الموضة انعطاف اجتماعي يبصم الحياة الاجتماعية للمشارك في ظل شروط زمكانية محددة، " فهي سلوك اجتماعي من شأنه أن يستحوذ على اهتمام الأفراد أو افتتانهم بها أو تثير فيهم هذا الافتتان، ذلك أن اللهاث وراء التقليعات الجديدة، والإذعان لسلطتها الرمزية ينتج حاجة كل واحد منها لأن يكون مجهزا بمعالم ضرورية لكي يستطيع التحرك في هذا العالم المبرمج والمتفجر**"(العطري، 2005)، وعلى هذا الأساس نجد أن الموضة حسب تمثل المشاركين تحمل هالة رمزية وهي التي تحرك مجمل السلوكات الاستهلاكية للفرد.

ترى المشاركة ع.ب" ان الموضة قضية اجتماعية مرتبطة بفئة الشباب أكثر أو لديك رأي آخر؟"، يعتبر هذا السؤال السوسيوانثروبولوجي يحمل تضاريس ممنهجة ووجب علينا كباحثين البحث وراء السؤال لفهم المعاني والمآلات، فالشباب كفئة مهمة تعتبر أكثر اذعانا للموضة، وخاصة فئة المشاركات اللواتي تعتبرن أكثر استعمالا للموضة، والسبب في ذلك أن المشاركات حسب رأيهم" الموضة واجبة وهي تصغر العبد (...) أك تشوف فيهم وحدة متلبسش تبان كبيرة في السن"، ومن هذا المنطلق نفهم أن خصائص الشباب تعمل على إزاحة كل معاني الشيخوخة، كما أن الإذعان الشبابي للموضة مرتكز أساس على حاجات فردية تتصل بالهابيتوس، كما أنها لا تتخلى على المبدأ الاجتماعي الذي تعيش فيه بحكم أنه المغذي الرئيسي للموضة، فمن خلالها يصبح الفرد في حالة اندماج داخلي وخارجي.

9- دلالات الألوان في الألبسة ضمن سياقات التصور الجندري للمشاركين:

"جاء في لسان العرب: اللون: هيئة كالسواد والحمرة، ولونه فتلون، ولون كل شيئ ما فصل بينه وبين غيره، والألوان: الضروب، واللون: النوع، وفلان متلون إذا كان لا يثبت على خلق واحد.هذا ويقال فلان متلون كالحرباء، للرجل الذي يلبس لكل حالة لبوسها" (كلود، 2013).

ومما لا شك فيه أن اللون بما يحمله من امتدادات جنوسية يحتل مكانة كبيرة في حياتنا أكثر مما نتصور، فهو يلاحقنا في حياتنا اليومية (الملبس، المسكن)، وحتى (الأدب، والفن والاجتماع) على العموم في كل حياتنا المادية والمعنوية، حيث يلعب اللون دور مهم في حياتنا، فهو من أهم الظواهر الطبيعية التي تسترعي انتباهنا، ونتيجة لذلك اكتسب مع الأيام، وفي مختلف الحضارات، دلالة ثقافية، ورمزية واسطورية، وتوطدت علاقته مع الانسان وأصبح محدد شرعي لسلوكاتنا، وهذا ما اثبتته الدراسات الحديثة " فاللون له تأثير على خلايا الإنسان، وبالتالي على سلوكه، إذ لكل لون موجة معينة، وكل

موجة لها تأثير على خلايا الإنسان، وجهازه العصبي، وحالته النفسية، كما أن اختيار الألوان راجع لمرجعيات قهرية" (كلود، 2013).

لكن اللون يحمل في ثنياه مبدأ الخصوصية، فإذا توجهنا إلى رمزية اللون فنجده مبنيا ثقافيا على روابط تختلف باختلاف الزمان والمكان والثقافة، وقد يكون للون الواحد رموز مختلفة جدا، وآثار نفسية متنوعة حتى في نفس المكان، كما أن اختيار اللون المناسب للجنس ليست فطرية بل هي مكتسبة من الثقافة.

لا أبالغ إن قلت أن الإنسان غلف نفسه بالألوان وأصبحت مسيطرة عليه بكل رمزيتها التي تحملها، فهي مغلفة تغشي الحقيقة وتجعلها متسترة وراء هياكل جندرية، تحمل مكنونات رمزية وتصويرية ومادية، تختلف ثم إنها ضمن إدراك العين البشرية تراه على أنها ألوان عادية، غير أنها ضمن هويتها وما تحمله من امتدادات غير ظاهرة تكاد لا ترى إلا في حقيقتها الظاهرة حتى ظهوره مربك، قال **بول كلي Paul Klee** " اللون هو المكان حيث يتلاقى عقلنا والكون" (بروزاتين، 2018).

إن علبة الألوان عالم صغير ظاهريا لكنه كبير ضمنيا فهو يحمل تجليات جنوسية ويترجم كل معاني العلاقات والأدوار المجندرة، فاللون هو المكان الذي يخلق تلك التمايزات ويجسد الهيراركية بين الجنسين، والأكثر من ذلك يحدد المجال الجنوسي للنوع من خلال فرض المبادئ الأساسية التي تبنيها الأطر الاجتماعية المركزية، فكثيرا ما قورن الصراع بين الألوان على أنه نفس النموذج الصراعي بين الجنسيين، فالصراع الأول يكون في شاكلة التجمع أو التكوين والانفرادية لكي لا يلغى ذاته ويتحول من المتكلم إلى الصامت.

فالمتعارف عليه هو أن لكل لون أبعاده الإيحائية ودلالته الرمزية التي تعلل وجوده في سياق بعينه دون غيره، أين يصبح الفضاء اللوني هنا، علامة وبنية كثيفة

بأبعاد رمزية، فيتعدى كونه مجرد فضاء لوني إلى موضوع له خلفية اجتماعية وثقافية كما يشير **رولان بارث** من أن اللون في حد ذاته لغة ناطقة.

إن عملية تحديد النوع والتي تمس توقعات أفراد الأسرة، هي عملية مسطرة من العديد من الإنشاءات الاجتماعية والثقافية، إلا أن تحديد فئة النوع بالنسبة للطفل هو مجرد بداية. وهذا التحديد **assignment** يكون مقدمة للعديد من العمليات الأخرى التي تساعد جميعا في صياغة النوع للفرد، على سبيل الشرح، عندما يتم تحديد نوع المولود، فإذا كانت فتاة فقد يقومان باقتناء ملابس ذات ألوان معينة مثل" **اللون الوردي، أو الأصفر أو الأحمر**" لأن في اعتقادهم أن هذه الألوان تنسب للفتاة وتحمل دلالات أنثوية وهذا ما أكدته جل المشاركات أن الألوان هي نقطة انفصال بين الجنسين وتحدد الانتماء للمعايير النوعية، أما بالنسبة إلى الذكر تختلف اختيارات الأسرة فهي ترى أن اللون الأزرق والأخضر والألوان الغامقة هي المناسبة للطفل، فالألوان هي مثال للانقسامات الجندرية والتمييز بين الجنسيين، فعند السباحة في دلالة اللون نجد أن الألوان التي ترتبط بالأنثى تدل على الحزن والموت والبؤس عكس دلالة الألوان الذكورية التي تتسم بالحياة والمرح والسرور وهذا ما أكدته **فرح غانم صالح حميد البيرماني** بقولها "اللون الأصفر والوردي يدل على الخريف والحزن والموت والقحط والبؤس والذبول والألم والشحوب والانقباض(...) والأخضر عنوان انبثاق الحياة والصحة ويرمز إلى الكون والطبيعة والربيع والمرح والسرور والشباب، والأزرق يشير إلى الهدوء والسكينة والامتداد والعالم الذي لا يعرف الحدود." (غانم و البيرماني، 2012)

إن الغموض الذي يطبع علاقة اللون بتكوين النوع وبحكم أنه" يُغشي الحقيقة" كما قال **مانيلو بروزاتين** (بروزاتين م.) هو انعكاس للثقل الاجتماعي والرؤية الضبابية التي تلقى على أفراد المجتمع بالعموم والأسرة بالخصوص بصورة مستمرة ودون توقف، حيث يقوم هذا الإكراه الاجتماعي بإعادة إنتاج الصورة الذهنية

لاستراتيجيات تكوين النوع، من المؤكد أن هذه المظاهر تغيرت نوع ما في الأسرة المعاصرة حيث ظهر اختراق للمجموعة النوعية وكسر قاعدة جندرة الاختلاف، فقد نرى ذكر يلبس الألوان الزاهية والأنثى تلبس ألوان غامقة، هذا الهروب يكون نعمة للأنثى ونقمة للذكر لاعتباره انحراف عن المجموعة الجندرية وبالتالي إقصاءه وتهميشه، هنا تدخل الوكالات الاجتماعية في تحديد الأدوار الجندرية كنوع من أنواع الرقابة المجتمعية على الأفراد، لذلك قد يتعرض الأفراد إلى ممارسة العنف ضدهم أو أنواع أخرى من التبعيات السلبية عليهم في حال اخترقوا تلك الأدوار تؤكد **س.س العمر 28 سنة " أنا نشوف الراجل لي يلبس اللون الوردي والأصفر وإلا الأحمر ما هوش راجل" وتصرح ن. م العمر 32 سنة " مرة لقيت ولدي لابس القش تاع اختوا صغيرة قتلتوا بالضرب، خايفة عليه".**

إذا ما تعمقنا في حفريات الخطاب الثقافي لرمزية اللون الأحمر، فسنجده اللون المحضور لون الشهوة، النجاسة، وهو اللون الأقرب لعوالم الأنثى وسحرها، " فلقد ارتبط هذا اللون منذ الأزل بكل ما يشكل كيانا أنثويا مغر كطقوس التجميل الجارية لدى أغلب المجتمعات، والدالة على الرغبة الفعلية في مجال الخلق" (نادية، د.ت) لكن بالنسبة للمشاركات فالحناء هي الأساس في التجميل وهي تعكس أنوثتها والجانب الإغرائي من فضاءها الجسدي، إذن "اللون الأحمر لون أنثوي صارخ بفضاءات الأنثى، ومستقطب لسحرها وفتنتها، أين يرتقي اللون المعتقد الشمولي للدلالة على كل ما هو محضور في العرف الثقافي السائد" (نادية، د.ت)، فأصبح يتحكم فينا عرفيا من خلال خصوصياته الرمزية والإيحائية مع تجاهلنا التام إلى أننا نحن الذي زرعناه وأنبتناه في تربة وجودنا الظاهراتي، ومنحناه المشروعية الجندرية.

يحمل أيضا اللون الأحمر معنى المدنس بكل تمفصلاته، فالمرأة خلال العادة الشهورية، تقذف دم إلى الخارج، يحمل طبيعة ملوثة، وهذا ما أكده الكثير من

المشاركين بقولهم" **المراة تخرج دم خامج**"، إذ انطلاق هذا الدم من الليل الرحمي إلى النهار يعكس استقطابية المرور من المقدس الأيمن إلى المقدس الأيسر.

وكما ارتبط اللون الأحمر بالسياقات الأنثوية وفتنتها، فإن اللون الوردي الذي يحتل المرتبة الأولى وذلك لما للوردي من دلالة عميقة، حيث يؤكد **عبد المجيد جحفة** " أن للوردي دلالة رمزية أنثوية لذلك نسب هذا اللون للمرأة" (نادية، د.ت)، وهذا ما نراه أثناء طقوس الولادة والهدايا التي تقدم للمولود حسب الجنس كما قلنا سابقا، كما أن اللون الوردي أقرب إلى الحزن والوحدة والإحساس بالوحشة.

أما بالنسبة للون الأصفر عرف انه يحمل دلالة سلبية لأنه طاغي على الصحراء الجافة وكذلك لون المرض كما تقول أحد المشاركات، وعرف انه يحمل دلالة سلبية لأنه لون الانقباض وكثيرا ما ارتبط بشعور بالحزن والتبرم من الحياة والشوق إلى عالم أفضل فاللون الأصفر تجده في النبات في فصل الخريف وهو يختلف عن الأخضر ولذلك يحمل دلالة تتلخص في القحط والجفاف والشحوب، بالإضافة إلى أنه يرتبط بالخيانة عند تحطم الرباط الزوجي المقدس، " كما يرتبط بصورة الرباط المقدس للحب الإلهي المحطم من قبل الشيطان، مع فارق دقيق قلب فيه الرمز" (نادية، د.ت)، إذ أعطي نعت المرأة حسب خطاب المشاركين " **بالمرأة المصفارة**"، أي المرأة التي تحمل كل الصفات السلبية من خديعة وغيرة.

إذن الفضاء اللوني عالم تتجاذبه عدم مراكز قوى، ويحمل رمزية جندرية تغذي التمايزات بين الجنسين، وهذا من خلال الاختزان اللوني ودليته فضاء الصراع الوجودي من خلال السياقات المحددة من طرف أطر اجتماعية، وفي الوقت نفسه يحمل تلك العلاقات مع الذات ومع لآخر الأمر الذي يؤكد لنا اغتراب الهامش.

فهو يحمل سياقات جندرية إقصائية تمنع الذكر على الانتقال الجندري وسطوته للممتلكات الأنثوية هذه العملية هي نتاج لفرض المجتمع نموذج ثابت يحدد

السلوكات لكلا الجنسين ويثمن الأخلاق السائدة والمعمول بها، هذا الاحتقان المستمر محصلة للأبنية الاجتماعية والثقافية.

10- جندرة لباس:

هل يمكن القول أن الإذعان الموضاوي أكبر من الإذعان الاجتماعي التقليدي؟

يعتبر اللباس" أحد أبرز المؤشرات التي تطلعنا على المجتمع الذي ينتجه، والعلاقات التي يعقدها مع الخارج" (نادية، د.ت) فهو غلاف للجسد يضمن تغطية الجسد وحمايته ضد مؤثرات العالم الخارجي، حيث يتعدى اللباس الوظيفة البيولوجية إلى الوظيفة الاجتماعية والثقافية، فكل جماعة لها خصائصها الثقافية في ما يخص نمط اللباس" وبناءا على ذلك فإن وظيفة اللباس عبر مختلف الثقافات، لم تقف أبدا عند مجرد تغطية الجسد أو وقايته، وإنما تعدت ذلك إلى الإعلان عن هوية الفرد وانتمائه. إذ بفضل اللباس يمنح الفرد لباسا اجتماعيا" (نادية، د.ت) وفي هذا الإطار ساهم اللباس في برقعة الجسد أو إنشاءه ثقافيا كل هذا يفند الجانب البيولوجي للجسد، فاللباس له حضور ثقافي أكثر لأنه مؤطر للحركات الجسدية وخاصة الجسد الأنثوي مما يخلق لنا اضطهاد مقنن ومبني على أساس النوع الاجتماعي.

إن لباس المرأة وتصرفاتها، حسب اثنوغرافيات الميدان ميكانيزم رئيسي لتغذية الصورة النمطية، وهذا ما صرح به العديد من المشاركين بقولهم: **" لازم على المرا تلبس لباس محترم كي تجي خارجة (...) والموضة تخليها بعيد مناش تاع موضة رانا نحبوا الاحتشام"**، فالنساء اللواتي يلبسن لباس متوافق والموضة ويظهرن أنوثتهن في الفضاء العام يعتبرن **"فاجرات" ميش متربيات"** وفي هذا السياق الخطابي أعربن بعض المشاركات المتمدرسات والعاملات - **وهي فئة قليلة جدا مقارنة مع المشاركات اللواتي يمكثن في الفضاء الخاص**- على إسقاط مثل هذه الكليشهيات عند الخروج من الفضاء الخاص إلى الفضاء العام، هذه الكليشهات تقوم بتطعيم الصور النمطية الجنوسية

والتي تهدف إلى تهميش المرأة وإهانتها، فا" **المرا والطفلة لي نحترمها هيا لي تسطر روحها وتحترم روحها كي تخرج رانا نشوفوا، أنا بنتي لبستها الحجاب كي طلعت للمتوسطة باه توالف بيه**"، فعلى المشاركات أن تلبسن لباسا محترما وبعيدا عن كل إثارة أو بعبارة أخرى وجب عليهن أن يرتدين الحجاب، فالحجاب حسب **مالك شبل** " ستارة أو نسيجا موضوعا أمام كائن أو شيء حتى نحجبه عن الأنظار" (شبل، 2010)، والذي يعتبر عنوان الأعراف والتقاليد والعادات المجتمعية الذي يحدد بعد ذلك وضعهن داخل الفضاء العام، وفي هذا السياق أكدت كل المشاركات على أن المرأة " **لازم تستر روحها وتلبس الحجاب المحترم**" إن تحديد ماهية الحجاب بالنسبة للمشاركات صعب جدا لأن الحجاب بالنسبة لهن غير محدد المعالم وصورته غير مكتملة، فهن يرون أن الحجاب هو تغطية الوجه – وهذا هو الأساس- إضافة إلى ذلك لباس الخمار الذي يعتبر القطعة التي ترتبط بها المشاركة منذ الصغر (إجباريا) وهو عنوان هويتها، حيث تقرر مكانتهم وتعبر عن هوية الجماعة، فالحجاب إذن هو قطعة من القماش يجب أن تكون فضفاضة وثابتة تغطي أجزا معينة من الرأس والوجه والجسد.

كما هو الحال في حالة المشاركات فهن مرتبطات كما قلنا بالحجاب في حياتهم اليومية، فعندما ينضمن المشاركات حلقات حوارية غير رسمية، فإنهن يتوقفن عن الحديث ويسرعن في التحجب حين يمر رجل مسن (رغم قرابته الدموية) بالحلقة الحوارية، تفسر لنا **شارما** " هذا السلوك بأنه مثال لـ " إسكات" صوت النساء وتقييد تصرفاتهن". (الجندي، 2016)

عندما نقوم بجولة متمعنة لمعظم خطابات المشاركين – الرجال- والكليشيهات نجد التفسير الديني يطغى عليها هذه الترسيمة حيث تعيد إنتاج الصور النمطية بشأن حضور المرأة في الفضاء العام فباسم الدين يدافع المشاركين على ضرورة ارتداء الحجاب من أجل الحفاظ على عفة المرأة وحشمتها في الفضاء العام، فالحجاب بما

يحمله من حمولة رمزية " لكنه مع ذلك (...) له ارتباط بالأبعاد الدينية" (قاسم و المرادي، 2013)، حيث يبنى خطاب المشاركين من الدرس الديني وبالضبط من تأويلهم للمفهوم الإسلامي للعورة، باعتبار أن المرأة هي عورة ومن هنا هي مصدر انزعاج للنظام العام وللنظام الأخلاقي، وعلى هذا الأساس يخضع لباس المرأة للقواعد الاجتماعية المستوحاة من الدين الإسلامي **" كي ترجع للدين تاعنا لازم على المرا تستر روحها والحجاب أحسن ستار، تخرج مرا لابسة المزير تقعد غير تشوف فيها ولله أنا منقدرش نخلي مرتي والا بنتي تخرج هكاك (...) فرضت على بنتي الحجاب ومرتي العجار*** **أم ما يخلوهمش في حالهم خلاص ورانا نشوفوا فيهم مرت راجل يدراقوا فيها"** ، لأن جسد المرأة كله عضو تناسلي وجب علينا تغطيته وتحديد فضاءات تنقلاته لكي لا يثير الرغبة الجنسية للرجل، وهذا عن طريق فرض الحجاب للفتاة بكل أشكاله وهذا ما لمسناه في خطاب المشارك خوفا من أنواع التحرش الممارسة في الفضاء العام وخاصة التحرش اللفظي.

تعتبر المرأة عند جل المشاركين فتنة للرجل، ولا بد من حماية الرجل -**المرا راي فتنة كبيرة**- من فتنتها وذلك عن طريق لبس الحجاب، لذا يفرض على المرأة للخروج من المنزل أن تغطي جسدها وعدم إظهار زينتها، وهذا الأمر يتبين بوضوح من خلال

* العجار هو قطعة القماش التي تضعها المرأة على وجهها للسترة عند الخروج من البيت، حيث كانت المرأة تكاد لا ترى الشارع إلا من مناسبة إلى أخرى، لعدم سماح المرأة من الخروج واكتفاءها بتربية الأطفال والعناية بالمنزل، سوى إذا تنقلت للطبيب أو زيارة الأقارب، لان الشوارع كانت تمتلئ بالرجال فقط خاصة في الأرياف والمدن الصغيرة التي لا يكاد الرجل يرى امرأة في الشارع، وإذا رآها فلا يرى سوى لباسها الذي كانت تتستر به حين كان حايك مرمى والعجار الذي يغطي وجهها، حيث كان رمزا للرفعة والحشمة والوقار (حسب تعريف أحد المسنات)

ميتولوجيا التأويل القرآني، والذي ينص كما قلنا سابقا أن المرأة مصدر للغواية فالمرأة حسب **نادين أبو زاكي"** شيء لا بد من مقاومته(..) لأنها تحمل في متخيل الرجل قوة الإغراء" (زاكي، 2017)، وعليه يقوم الرجل بتحييد الرغبة عن طريق الحجاب إضافة إلى هذا يعتقد كل المشاركين–الرجال- أن خروج المرأة بدون حجاب يمس مباشرة صورتهم مما يؤدي إلى تصدعها يقول م.س" **الراجل لي يحكم في مرتوا حتى كيفاه تلبس والبرة نفس لا أذاك راجل ويقولوا عليه الناس مرت فلان راجل صح"** ويدلي ع.س **"مرتي لازم النفس لا التخراط والو لازم واش نقول أنا نذير، (..) كي تخرج البرة تلبس الحجاب والعجار تاعها "** ويدلي ر.س" **لازم تلبس المرأة الحجاب وماهوش أي حجاب لازم يكون واسع وما يبينش كلش تاعها، (..) من عرفت صلاحي نشوف في النساء تاعنا لابسين الحجابات والعجار، حتى انا المرأة تاعي لازم تلبس العجار والحجاب".**

إن مكانة الرجل تتحدد بالهيمنة المطلقة على المرأة وخاصة في لباسها والذي يتمثل عند المشاركين – الرجال- بالحجاب وليس أي حجاب فحسب تَمَثُلْ المشاركين يجب أن يكون الحجاب فضفاض لا يحدد الجسم أو قوامها هذه الشروط يجب تتوفر في الحجاب، فهو يمثل واحد من أبرز رموز النموذج الثقافي الذي يرسمه الفضاء الاجتماعي الداخلي المنتمية إليه المشاركة، كما أنه المتحكم في كل الرموز التي ترسلها أثناء تفاعلها في كل الفضاءات وخاصة الفضاء العمومي، كل هذه الاستراتيجيات الذكورية تلعب دور الحصن المتين وتحمي المرأة من الفضاء العام لكن لم تسلم المشاركات من العنف داخل الفضاء العام بكل أشكاله رغم أنهن محصنات بكل العتاد الذكوري تحكي لنا **ن.س** مشهد وقع لها في الشارع تقول **" مرة كنت خارجة لبست الحجاب تاعي والعجار رايحة للسبيطار نشوف جارتنا شقت على المرارة، روحت أنا ولدي "**ع" **روحت على الطريق تاع الراية أنا ماشيا أنا ولدي وصلت كيما السنطرة تاع التريسيتي حبست نريقل في الحجاب والعجار عد علينا واحد بالتاكسي كبير شوي**

قالي زعمى حرمة راكم قحاب كبار واش يخرج منكم النساء ديروا في الحجابات والعجار وانتم ديروا في رجليكم البلاصة تاعك في الدار هي لي تسترك". يتضح من خلال هذا المشهد الاثنوغرافي أن اللباس ليس له علاقة بالتحرش فالرجال يعيشون نوع من الاغتراب الأنطولوجي في الفضاء العام بسبب ولوج النساء له مما أحدث خللا في الوضع التقليدي الذي يتسم بسيطرة الذكور، حيث زادات تمظهرات العنف ضد المرأة داخل الفضاء العام والتي تتعرض لها مهما بلغت من الحصانة التي يفرضها الرجل، ونجد تفسيرها في خطاب الحس المشترك للمشاركين، وهكذا يظهر لنا جليا أن حظور المرأة داخل الفضاء العام هو الذي يزعج الرجل وليس لباسها لهذا يمارس عليها كل أنواع العنف ليحاصر وجودها، وبالتالي هناك رفض لحضور المرأة داخل الفضاء العام لهذا يمارس الرجل العنف ضدها ومحاولة منه أن يسترجع المشهد التقليدي بكل حذافيره **" بكري صح المرا ساترة روحها ومتخرجش(..) نتمنى ترجع الحالة كيما كانت".**

الخاتمة:

وفي الختام يمكننا القول أن الموضة أكثر ظاهرة تعمل على تحطيم القواعد الاجتماعية وخروجها على ما هو سائد داخل الفضاء الاجتماعي، وهي أكثر تقلبا لدى المشاركين، باعتبارها ظاهرة جندرية تعمل على خلق الهيراركية الاجتماعية، وترسيخ البنى المعرفية الجندرية، كما أنها تعتبر عدوى التي ترافق وتجعل المشاركين ينقلبون عليها رغم وجود العديد من الحواجز الاجتماعية والمتاريس الطبقية فاللباس الفاضح ممنوع داخل الدستور الجندري رغم وجود البنية المعرفية الصريحة للموضة.

وما لاحظناه من خلال المقابلات أن الموضة تحمل بين طياتها تناقضات صارخة فهي توحد وتفرز التضاد في الآن ذاته كما عبر **عبد الرحيم العطري** وهذا ما جعلها مفرزة للكثير من المشاكل الجندرية التي تتجاوز الفردي إلى الجماعي الذي يمس النظم

والقيم والمعايير، وهذا ما يجعلها تحارب من طرف الكبار خصوصا وأنها من بين العوامل المسؤولة عن الهوة الأجيال كما تقول **مارغريت ميد**، فإذعان المشاركين سبب في الهوة والتي أدت في النهاية إلى صراع جندري معلن ومضمر يجد إمتداداته الموجهة للشباب والتي تصفه بالقصور والتهور والأخرى التي تلصق بالكبار والتي تتمحور حول التخلف عن الركب وعقدة الماضي.

قائمة المراجع:

المؤلفات:

1. إبراهيم ,فتيحة محمد .وحمدي ,مصطفى .*(1988)*.**مدخل إلى مناهج البحث في علم الإنسان "الأنثروبولوجيا "**.الرياض، المملكة العربية السعوودية :دار المريخ للنشر.
2. أبو زاكي ,نادين .*(2017)* .**من إمرأة إلى رجل** .لبنان : دار الفارابي.
3. أبو قاسم، سامر المرادي، أحمد *(2013)* **الحجاب والنقاب دراسات فقهية واجتماعية** .الرباط، المغرب : دار التوحيدي.
4. بروزاتين ,م .*(2018)*.مانليو، **قصة الألوان**، ترجمة السنوسي استيته. المنامة، البحرين : هيئة البحرين للثقافة والآثار.
5. بيبر ,شارلين هس، باتريشيا ,ليفي .*(2011)* .**البحوث الكيفية في العلوم الاجتماعية**، القاهرة، مصر :المركز القومي للترجمة.
6. الجندي ,فدوى .*(2016)*.**الحجاب بين الحشمة والخصوصية والمقاومة.** القاهرة، مصر، لمركز القومي للترجمة.
7. جوبو ,جيامترو .*(2014)* .**إجراء البحث الإثنوجرافي**. القاهرة، مصر, المركز القومي للترجمة.

8. سارانتاكوس ,سوتيريوس.(2017). **البحث الاجتماعي**. قطر: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات.

9. سبعون ,سعيد .(2012) .**الدليل المنهجي في إعداد المذكرات والرسائل الجامعية في علم الاجتماع**، (ط2)،الجزائر : دار القصبة للنشر.

10. ستيورات ,دافيد، شامداساني ,بريم .(2012) .**الجماعات البؤرية النظرية والتطبيق** .القاهرة، مصر : المركز القومي للترجمة.

11. شبل ,مالك .(2010) .**الجنس والحريم روح السراري السلوكيات الجنسية المهمشة في المغرب الكبير** . المغرب : زارا أفريقيا الشرق.

12. كلود ,عبيد .(2013) .*الألوان دورها، تصنيفها، مصادرها، رمزيتها، ودلالتها* .بيروت، لبنان : المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

13. وصفي عاطف.(1989) .**الأنثروبولوجيا الاجتماعية** .د.ب. دار النهضة العربية للطباعة والنشر،.

14. وينكين إيف .(2018) .**أنثروبولوجيا التواصل من النظرية إلى ميدان البحث** .المنامة، البحرين : هيئة البحرين للثقافة والآثار.

المقالات:

1. غانم فرج صالح.البيرماني حميد .(2012) .**دلالة اللون في الشعر النسوي العراقي المعاصر**. *مجلة الأستاذ*.(203)

المداخلات:

2. نادية خاوية(د.ت)، **الاشتغال السيميولوجي للألوان وأبعادها الظاهرتية في ديوان "البرزخ والسكين "للشاعر عبد الله حمادي**، *ورقة بحثية مقدمة في الملتقى الثالث المعنون "السيمياء في النص الأدبي ".*

مواقع الانترنيت:

1. العطري ,عبد الرحمان .(10 05 ,2005) .*الشباب وتقليعات الموضة*: ثقافة الاغتراب والبعد الواحد، دنيا الرأي:
2. https://pulpit.alwatanvoice.com/content/print/21522.html Consulté le 05 30, 2019
3. جرجرس ,س .(2019) .*المقابلة –تقنية البحث الأنثروبولوجي-*
4. https://www.aranthropos.com . Consulté le 05 30, 2019

المراجع باللغة الأجنبية:

1. ELLIS.H.H. (1967). , ***studies in psychology of sex***. london: society of psychological reseach.
2. Karp, D. (1997). ***speaking of sadness*** *: depession, diconnection, and the meanings of illness* . oxford : oxford university press.
3. Kroeber, A., & L, R. (s.d.). ***three centuries of wormiens dress fashion: AQuantitative Analysis,*** *antbropological Records.*
4. Pattonpatton, M. Q. (2002). ***Qualitative research and evalution methods*** (éd. 3). thousand OaKs, ca, sage.